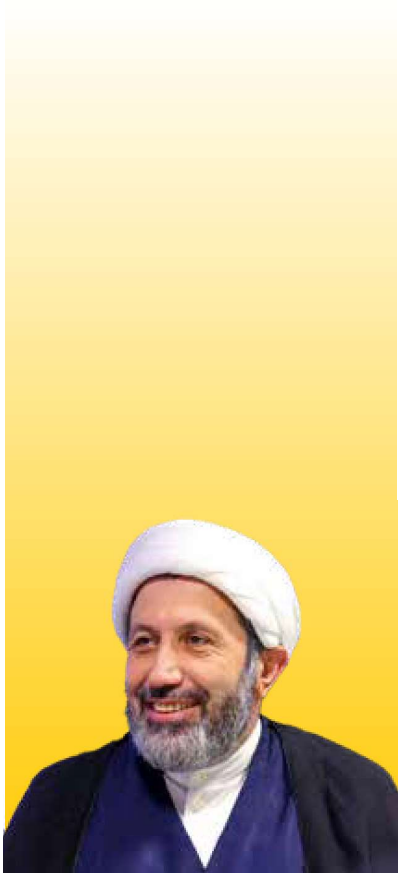

الحج الاصولي
حج بيان و تبيان

■ **محمد مهدي ايماني بور**
رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية

عشية حلول الأيام المعنوية المباركة للحج، يتوجّه حجاج بيت الله الحرام ـ من كل حدب و صوب ـ الى ارض الوحي .. وشريعة الحج طقوس عبادية قام بأدائها عديد من الانبياء قبل الاسلام .. حتى المشركين في مكة كانوا يؤدون الحج والطواف حول الكعبة قبل الاسلام، و كانت لديهم تقاليدهم الخاصة بهم، التي رفض الاسلام بعضها ولم يقرها..

كما حاول المفكرون الاسلاميون، تفسير و تبيين فلسفة تشريع الحج بالإستلهام من آي الذكر الحكيم و السنة النبوية الشريفة. ولاشك في أن " بلوغ حقيقة التوحيد ونفي الشرك "، يعد احد ابرز دوافع تشريع الحج الابراهيمي .. وعلاوة على الجانب العبادي، أولى الحج ـ منذ عصر الرسول الاكرم(ص) ـ اهمية للجانب السياسي، خاصة بالنسبة للحكومة الاسلامية حديثة التأسيس. وان الدورالذي اضطلعت به مكة و المدينة بنشر اخبار المسلمين الهامة في صدر الاسلام، كان قد جعل من الحج بؤرة سياسية.

لدى التأمل في هذا البعد من ابعاد الحج، نواجه عبارات تعد بمثابة مداخيل رئيسة لذلك، مثل: "ضرورة الاحاطة بأمور المسلمين"، "أهمية التعرف على الاعداء و البراءة منهم"، "ضرورة تبيين حقائق المجتمعات الاسلامية". و في كلمة واحدة يمكن التعبيرعن كل ذلك بـ "حج البيان و التبيان". وفي ضوء هذا التوجّه، الحج في ابعاده أوسع نطاقاً من مجرد فريضة عبادية. خاصة اذا ما حاولنا التعرف على حقيقة "حج البيان و التبيان"، والمعاني التي يختزنها و المصاديق التي يتجلى فيها.

وفي هذا الصدد ثمة ملاحظات لابد من الالتفات اليها:

نص القرآن الكريم في الآية ٢٨ من سورة الحج هو "وأذن في الناس بالحج ... ليشهدوا منافع لهم". و كلمة (منافع) في الآية بصيغة الجمع، و هي عبارة عن مفهوم عام يشتمل على المنافع الدنيوية والآخروية. و في ضوء مفهوم الآية، الحج مكان لإجتماع المسلمين و التباحث في شؤونهم، و مشاهدة منافعهم المادية و المعنوية.

الامام الخميني (قده) يشير في بعض خطاباته الى فلسفة الحج موضحاً: "البعد السياسي لهذا الاجتماع هو، أولاً ـ ان يطّلع حجاج بيت الله على احوال بعضهم و ان يتعارفوا و يتواددوا. اضافة الى تدارس قضايا بلدانهم و البحث عن حلول لمشاكلهم .. فلو حرصنا على تجسيد

مفهوم الحج بالمعنى الذي تقتضيه روح الحج، لما واجه المسلمون الكثير مما يواجهونه اليوم".

الملاحظة الثانية، تتعلق بمسؤولية الحجاج الايرانيين في تبيان حقائق الجمهورية الاسلامية، و استعراض شخصية الايراني الحقيقي الذي ينتسب الى الثورة .. و لهذا ينبغي للايرانيين المتواجدين في موسم الحج، ان يكونوا مثالاً ونموذجاً يليق بالشعب الايراني .. و الحج من هذه الناحية بمثابة فرصة لتبيان حقائق ايران الاسلام و مكاسب و انجازات الثورة الاسلامية. و في هذا الصدد يقول الامام الخميني (ره) مخاطباً الحجاج الايرانيين: " انكم تحملون رسالة شعب انقذ بثورته بلد كان يتجه الى إلغاء انتمائه للشرق، و الايغال في التغرب والانغماس في الالحاد و الفساد و الفحشاء؛ و اقام حكومة اسلامية لتحل محل الحكومة الطاغوتية .. انكم تمثلون شعب استطاعت ثورته الاسلامية ـ على الرغم من حداثتها، والمصاعب و التحديات التي نتجت عن مواجهة القوتين العظمتين، و معادات المعسكرين الشرقي و الغربي لها، و الدمار الذي ألحقه بها الارهابيون التابعون لمعسكر الظالمين ـ استطاع هذا الشعب فقط و فقط ببركة الاسلام و هداه، و مقاومة الشعب، استطاع ان يحرك الدول الاسلامية في شرق الارض و غربها، وان يستحوذ على اهتمام المظلومين في العالم و يستقطبهم الى الاسلام ".

الملاحظة الاخيرة تتعلق بـ " وحدة الكلمة "، والفرصة التي يتيحها الحج لتجسيد التآخي و توحيد الامة الاسلامية، واحباط المخططات التآمرية لأعداء الاسلام. وفي هذا الخصوص يقول الامام الخميني: يا ايها المسلمون ! و يا اتباع مدرسة التوحيد ! ان السرّ الذي يقف وراء معاناة الدول الاسلامية يكمن في اختلاف الكلمة وغياب التضامن. كما أن سرّ النصر يكمن في وحدة الكلمة وفي التضامن".

ما نأمله و نتوقعه هو ان يقوم الحجاج الايرانيون وغير الايرانيين، بوحي من التحلي بالحكمة والتدبير، والادراك السليم للظروف الزمانية والمكانية، بلفت انظار العالم الى اقتدار و اتحاد " الامة الاسلامية " الذي يتجلى بشكل حي في ارض الوحي. اضافة الى ترجمة "النهج الايماني و نمط الحياة الاسلامية"، واستعراض صورة المجتمع الاسلامي بما يليق به. و مما لاشك فيه ان مثل هذه الرسالة هي أشبه بالماء الذي يسكب على نار "الرهاب من الاسلام" على صعيد العالم و المنطقة، و مدعاة لبيان و تبيان جوهر رحمانية الاسلام العزيز.